ميخائيل نعيمه يحدّث «الآداب» عن :

- خصائص أجيالنا الأدبية الثلاثة
- أهداف الفلسفة «النعيمية» وعلاقتها بالواقع
- الأدب والحياة القومية • انتاج الشباب

س ١ ــ عاصرتم ثلاثة اجيال من الادباء العرب في هذا القرن : جيل الرواد الذين كنتم من كبار ممثليه ، وجيل ما بين الحربين ، وجيل الشباب الحاضر . فما هي في رأيكم خصائص كل منهذه الاجيال، وبم يمتاز واحدها عن الآخر؟

الجواب ــ جيل ما قبل الحرب العالمية الاولى كان جيل هدم وتمهيد . ومهمته كانت اشق مهمة . اذ كان عليه ان يجدد الصلة ما بين الادب والحياة ــ تلك الصلة التي انقطعت في عصر الانحطاط الطويل ، وبانقطاعها بات الادب جسما بغير روح. وكان عليه ان يقيم للأدب مقاييس جديدة ، وان يدافع عنها بضراوة ضد المقاييس القديمة ، وان يوسع في آفاق الادب فيدخل عليه عناصر جديدة لا عهد له بها كالأقصوصة ، والرواية ، والمسرحية ، والملحمة، والنقد ، الذي ليس تجريحا او تقريظا ، بل كشف شامل لما ينطوي عليه الاثر المنقود من قيمة ادبية .

وجيل ما بين الحربين كان جيل تجديد وتعمير . وقد اسعفه على القيام بعمله ذلك الجو من الهدوء النسبي الذي ساد العالم من سنة ١٩١٨ وحتى سنة ١٩٣٩ ، ثم انفتاحه الواسع على أدب الغرب . فراح يقتبس حيث خانه الابداع ، ويبدع حيث كان في غنى عن الاقتباس . الا انه في اقتباسه وابداعه كان يعمل وكأنه في سباق مع الزمان. فالقراء في ازدياد مطرد ، وهم يتقبلون نتاجه تقبل الارض العطشى للغيث . من هنا ذلك الفيض من المؤلفات والصحف الادبية الذي شهدته فترة ما بين الحربين .

واما جيل ما بعد الحرب الثانية فجيل حيرة ، وقلق ، وتفتيش ، وصراع ، وما ينتج عن هذه من تشاؤم ولا مبالاة واستهتار ونزق . فلا عجب ان تتشعب مسالكه ، والا يكون له وجه يعرف به. واستثني منه الادب القومي العنيف الذي ولده كره الاستعمار . وادب الصراع الطبقي الذي خلقته الشيوعية. فهذان لهما لون معروف واتجاه بيّن المعالم . ولكن هذا الجيل ، على ما فيه من حيرة وقلق وتشاؤم واستهتار ونزق ، قد تكشّف عن مواهب ادبية ذات شأن .

س ٢ ــ هل تعتقدون ان نظرتكم الى الحياة تشكل نظاما فلسفيا متسلسلا مترابط الاجزاء؟ وهل لكم ان توجزوا للقراء خطوطه الرئيسية ؟

الجواب ــ المهم في أي فلسفة ان تقيم لصاحبها هدفا وان تختط له الطريق الى الهدف . وبذلك تجعل لوجوده معنى ، فلا تبدو الولادة والموت وما بينهما وقبلهما وبعدهما الغازا ، بل حلقات في سلسلة غير متناهية أحكمت صنعها الحياة اللامتناهية التي لا يمكن ان تضمر لنفسها ولأبنائها غير الخير اللامتناهي . وليس على أي فلسفة ان تقنع كل الناس بصحة هدفها وصواب طريقها . اذ أن الناس في مرتبات متفاوتة جدا من حيث الفهم والتفتح .

أما هدفي فمعرفة النظام الذي يسيرني ويسيّر جميع ما في الكون . وهذا النظام يدلني على وجوده عقلي . مثلما يدلني عقلي على انه حيثما وجد النظام فهناك المنظم . وحيثما كان المنظم فهناك الغاية من التنظيم . واذن فعلي ، لكي احقق الغاية من وجودي ، ان اعرف المنظم بمعرفتي نظامه . فأطاوعه في نظامه مطاوعة العارف لا مطاوعة الجاهل. وبذلك يصبح نظامه نظامي، وأصبح واياه واحدا.

والمنظم والنظام كلاهما في داخلي . وليس علي ان اذهب بعيدا في التفتيش عنهما . بل كل ما أحتاج اليه هو ان احسن استعمال الوسائل التي وضعها المنظم تحت تصرفي لفهم نظامه . وهذه الوسائل هي العقل والخيال والبصيرة والوجدان والارادة . والانسان ما يزال حديث العهد بها . فما اتقن استعمالها بعد . ودليلك على ذلك انه ما يزال الى حد بعيد مسيرا بالغريزة ، شأنه في ذلك شأن النبات والحيوان. وصاحب الغريزة مسير في كل

قضايا الفكر العربي المعاصر

شيء . فهو عالة على النظام كما هو الطفل على أمه سواء بسواء ، ولا قدرة له على معاندته ، وبالتالي على فهمه .

اما الانسان المسلح بالعقل والخيال والبصيرة والوجدان والارادة فقد بات في قدرته ان يخالف النظام . ولأن النظام السرمدي لا يطيق أية مخالفة فقد جعل الالم نتيجة حتمية لها كيما ينبهنا اليها فنرتد عنها . فنحن ما توجعنا الا لأننا خرجنا على النظام عن قصد أو عن غير قصد . ولو اننا أتقنا استعمال الوسائل التي لدينا لمعرفة النظام لبتنا في مأمن من الوجع ــ وحتى من الموت . واذ ذاك فالقصد من وجودنا في دنيا من المتناقضات هو ترويضنا على استعمال الوسائل التي نملكها عن طريق المقارنة والاستنتاج . فالخير والشر ، والولادة والموت ، مرحلة من مراحل الحياة لا أكثر . والغاية منها الوصول بنا الى معرفة النظام . حتى اذا تم لنا ذلك نزعنا عنا مآزر اوراق التين ــ مآزر الخير والشر ــ ولبسنا الحياة التي هي ديمومة خارج الزمان والمكان ، وفوق الخير والشر .

قد يعجب القارىء لقولي ان الانسان ــ ما خلا أفرادا قلائل ــ لم يتقن استعمال عقله وخياله وبصيرته ووجدانه وارادته في خلال الآلاف ، بل الملايين من السنين التي عاشها على الارض . وأي عجب في ذلك ؟ فهل اتقن الانسان أي علم من علومه ؟ فكيف بعلم النظام السرمدي الذي لا قبله ولا بعده علم ؟

وهنا لا بد من الاشارة الى أنني من القائلين بوجود الشخصية الانسانية الفردية ، وبعنادها في الاستمرار الى ان تبلغ المعرفة الكاملة فتنعتق من فرديتها ، وتندمج بذات المنظم الاعظم . ولذلك كان لا بد لها من ان تولد وتموت مرات عديدة قبل ان تبلغ نقطة الانعتاق .

ثم لا بد من القول بأن النظام الذي أحدث عنه لا يقتصر على ظواهر الحياة المادية ، بل انه نظام روحي في جوهره . وليس ما ندعوه مادة غير عرض من أعراضه ، او ظل من ظلاله ، لذلك فهو يسري على الاخلاق سريانه على اللحم والدم . والنظام الخلقي يقضي بأن نعامل الغير معاملتنا لانفسنا . لاننا ، لو أحسنا التفكير ، لوجدنا أننا والغير يتمم واحدنا الآخر . واذ ذاك فمحبتنا لانفسنا تحتم علينا محبة الغير كذلك . وأي اساءة نلحقها بالغير اساءة نلحقها بانفسنا . وكل خروج على هذا النظام نتيجته التشويش والخوف والحذر والقلق ، وبالتالي النزاع والالم والموت .

لقد حاولت ان الخص نظرتي في الانسان وحياته عالما ان كل تلخيص قلما يخلو من المسخ والتشويه . وكيف الخص في سطور ما انفقت جل عمري باحثا عنه ، وما ألفت فيه المؤلفات ؟

س ٣ ــ في معرض الحديث عن أدبكم ، يرى بعض النقاد انكم لا تخوضون قضايا الحياة خوضا واقعيا يساعد على ادراك الحقائق الارضية وعلى مواجهتها مواجهة ايجابية فعالة . فما رأيكم في ذلك ؟

الجواب ــ « الواقع » كلمة مطاطة جدا ، ومبهمة جدا . فواقع سمكة في قعر البحر غير واقع سمكة على سطحه . وواقع النملة غير واقع الفيل . وواقع الخلد يحفر نفقه في ظلمة الارض غير واقع النسر يجوب رحاب الفضاء . وواقع المسيح غير واقع قيافا . وواقع محمد غير واقع أبي لهب . فنحن وان مشينا على ارض واحدة ، وتظللنا سماء واحدة وتشابهنا في ما نأكل ونشرب ونلبس ، لا نعيش في جو فكري وعاطفي واحد . ومن ثم فالحياة البشرية « ورشة » متعددة الوظائف وليس يمكن في الورشة ان يقوم الكل بوظيفة واحدة . بل لا بد ممن يجبل الطين الى جانب من يهندم الحجارة ، ومن يحملها ومن يبنيها مدماكا فوق مدماك ، ومن يصنع تصاميم البناء الخ . الخ . .

واذا انا اخترت ان أقف ادبي على بناء الانسان من الداخل فلأنني واثق كل الثقة من انه يوم يصطلح داخله يصطلح خارجه . ولا أعكس القول ابدا . فجميع مشكلات الانسان بذورها في داخله لا في خارجه . ونحن اذا قضينا في قلب الانسان وفكره على بذور الكره والجشع والنفاق والرياء وحب الاثرة والسلطان ، وزرعنا بدلا منها بذور المحبة والقناعة والصدق والاخلاص والدعة والتسامح ، قضينا على الحرب والاحتكار والظلم والجوع والخوف والعبودية . اما قتلنا المبغضين والجشعين والمنافقين والمرائين والمحتكرين والظالمين فلن يقتل البغض والجشع والنفاق والرياء وحب الاثرة والسلطان . بل انه يبني لها مساكن جديدة في قلوب وافكار جديدة . والذي يداوي آفات الانسان المادية من غير أن يداوي آفاته الروحية كمن يداوي سرطانا في الكبد بمساحيق يطلي بها وجه المريض ليبدو زاهيا نضرا . انه الخداع الذي لن يلبث ان ينتهي الى مأساة وفاجعة .

وأزيد على ذلك فأقول انني ما نسيت يوما ــ ولا تناسيت ان الانسان من لحم ودم ، وان لا غنى للحم والدم عن الارض ولست اظن ان بين كتابنا المعاصرين من يحدب على العامل والمزارع ، وعلى المحروم والمظلوم ، حدبي عليهم . او من مجّد العمل تمجيدي له اذ دعوته « اكبر نعمة » (مذكرات

مذكرات جريح

صدر حديثا :

بقلم الشاعر الكبير

بولس سلامه

صفحات رائعة تعبر عن

الالم البشري اعمق تعبير

منشورات مكتبة الاندلس

الارقش) . او من قبح النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي نعيش في ظله تقبيحي له حيث قلت :

« يا للحيف ان يجوع من يزرع ، ويعرى من ينسج ، ويبقى بدون مأوى من يبني القصور !

« يا للعار ان يكون فينا من يريد ان يعمل فلا يجد ما يعمله . ومن يحب الارض فنقيم السدود المنيعة بينه وبين الارض . ومن يطلب لقمة يتبلغ بها فلا يجد اليها سبيلا سوى يد ممدودة . وجفن كسير ، ولسان يكيل الدعاء بغير حساب !

« يا للفضيحة ان نستر خزينا وحيفنا وعارنا بستار واه من فضيلة جرباء ندعوها الاحسان !

« انما الحياة حق من عل لا صدقة من اسفل . وللبطيء فيها ، والكسيح ، والضرير ، والابرص ، مثل ما للسريع ، والقوي ، والمبصر ، والسليم » . (الاوثان)

«وعندما عدت من المهجر، جاءتني احدى القرويات مسلمة اعتذرت عن خشونة يدها بقولها : « يا عيب الشوم منك . دياتي مخشّبرين » فأجبتها على الفور : « بل يا عيب الشوم منك . دياتي ناعمين » وعجبت لزمان تعتذر فيه اليد التي تعطي لليد التي تأخذ . (زاد المعاد)

ولا عرفت من قدس الانسان تقديسي له اذ جعلته كائنا يتفتح على الزمان عن آلة . ثم جعلت قيمته فوق كل ما في الارض من كنوز وخيرات ، لا فرق بين رضيع ويافع ، وبين شاب وأشيب ، او بين ذكر وأنثى . وانكرت على الناس ان يجعلوا تفاوتا فاضحا بين قيمة انسان وانسان . (قيمة الانسان في « صوت العالم »)

والواقع هو ان كتاباتي تدور جميعها حول الانسان ومشكلاته المادية والروحية . والذي يبدو لي هو ان الذين يعيبون علي ابتعادي عن الارض لم يقرأوا غير القليل مما كتبت . ولعلهم فهموه على غير منحاه . ومن الاكيد انهم لا يعرفون شيئا عن حياتي الخاصة . ولو عرفوا لوجدوني الصق منهم بالارض وابناء الارض . فأنا قروي وابن قروي وصوت الارض ابدا في اذني ، وعبيرها في انفي ، وحبها في دمي ، وابناؤها معي في كل حين .

ثم اذا نحن اعتبرنا مشكلات الناس الارضية ضروبا من الامراض ، واعتبرنا الادباء اطباء مطالبين بمعالجتها ، أفلا يحق لي ان « أشخص » المرض غير تشخيص زملائي ، وان اصف دواء غير الذي يصفون ؟

س ٤ ـ الى أي حد يستطيع الاديب في رأيكم ان يشارك في الحياة القومية لوطنه ؟

الجواب ـ الى أقصى الحدود . على ان تستأثر الحياة القومية بأفكاره ومشاعره فلا يجد لقلمه موضوعا سواها .

س ٥ ـ ألفتم بعض الكتب في اللغة الانكليزية ـ فهل تعتقدون ان طاقة التعبير باللغة العربية هي دونها في اللغة الاجنبية ؟

الجواب ـ ما ضاقت بي اللغة العربية وهي ما هي من رحابة الصدر . ولكنني أحببت ان أخرج بأدبنا الحديث من عزلته . لعل الاجنبي يعرف أن عندنا ما هو جدير باهتمامه . لقد أخذنا الكثير من الغرب ، وآن لنا ان نعطيه وان نتغلب على مركب النقص الذي نشعر به تجاهه .

س ٦ ـ هل تعتقدون ان جيل الادباء الشيوخ ما يزال قادرا على توجيه الادب العربي الحديث ؟

الجواب ـ ليس في الادب شيوخ وشباب . فهنالك كتاب وشعراء رثت عظامهم منذ مئات السنين ، ولا يزال لهم تأثير بارز في أدب هذا الجيل . انهم « شبان » اكثر من شبان اليوم . وهنالك من ادباء الشباب من باتوا شيوخا وهم لا يعلمون . والادب الذي يملك قوة التوجيه هو الادب الذي لا تسلبه السنون رونقه وقوته وجدته ، والذي يصمد لتقلبات الازياء البيانية ، سواء أجاء ذلك الادب من شيوخ اليوم أم من شبابه .

س ٧ ـ ما هي المآخذ التي تأخذونها على انتاج الادباء الشباب ؟

الجواب ـ أحب في أدب الشباب حماسته وانطلاقه ـ حتى واعتزازه بنفسه . ولست أحب استهتاره وعنجهيته فكأني به يريد ان يقول :

« انا الادب وكفى ! »

بسكنتا ميخائيل نعيمه

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تلفون ٢٧٦٨٢ ـ ص.ب. ٦٥٦

الجديد في المطبوعات العربية

قصائد من نزار قباني	(طبعة ثانية)
العشق الالهي	الشيخ داوود الانطاكي
الصبي الاعرج	توفيق يوسف عواد
حبر على ورق	مارون عبود
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
منهاج الاسلام في الحكم	محمد اسد
المنبر الذي اخترناه	جورج حنا
دراسات عربية	نبيه امين فارس
النبي	جبران خليل جبران (ترجمة جديدة لميخائيل نعيمه)
غيوم ظامئة	وديع ديب
من اجل ولدي	محمد عبد الحليم عبدالله
منتهى الحب	احسان عبد القدوس
عصر الانبثاق	محمد اسعد طلس
سقوط غرناطة	فوزي معلوف